12

كَمْ قَليلٍ مُسْتَطابُ

تمهيد: قيلَ لفيْلسوفٍ: «مَنْ أطْوَلُ النّاسِ سَفَرًا؟» قالَ: «مَنْ سافَرَ في طَلَبِ صَديقٍ».

التّوحيديّ، رسالة الصّداقة والصّديق

عَدُوّكَ مِنْ صَديقِكَ مُسْتَفادُ * * * فَلا تَسْتَكْثِرَنّ مِنَ الصِّحابِ

فَإنّ الدّاءَ أكْثَرُ ما تَراهُ * * * يَحُولُ مِنَ الطّعامِ أو الشّرابِ

إذا انْقَلَبَ الصّديقُ، غَدا عَدُوّا * * * مُبينًا؛ والأمُورُ إلى انْقِلابِ

ولَوْ كانَ الكَثيرُ يَطيبُ، كانتْ * * * مُصاحَبَةُ الكَثيرِ مِنَ الصّوابِ

ولَكِنْ قَلّما اسْتَكْثَرْتَ، إلاّ * * * سَقَطْتَ على ذِئابٍ في ثِيابِ

فَدَعْ عَنْكَ الكَثيرَ، فَكَمْ كَثيرٍ * * * يُعافُ؛ وَكَمْ قَليلٍ مُسْتَطابِ

وَما اللّجَجُ المِلاحُ، بمُرْوِياتٍ * * * وَتَلْقَى الرّيّ في النّطَفِ العِذابِ

ابن الرّوميّ، تحقيق عبد الأمير علي مهنّا، منشورات مكتبة الهلال بيروت 1991 ص ص 246-247

يَحُولُ: يأتي.

يُعافُ: يُكرَهُ ويُتْرَكُ.

اللّجَجُ، واحِدَتُها لُجّةٌ: ماءُ البحْرِ.

النّطَفُ، واحِدَتُها نُطْفَةٌ: الماءُ الصّافي القَليلُ.

تعريفات

أعــلام:

المؤلّف: أبو الحسن عليّ بن العبّاس-(221 هـ / 835 م - 283 هـ / 896 م) عرف بابن الرّوميّ، ولد ببغداد من أب روميّ وأمّ فارسيّة، شاعر مجيد من أعلام القرن الثّالث للهجرة. كان لفقدان أبنائه الثّلاثة، وعوزه المادّيّ، وحدّة مزاجه تأثير في نظرته للحياة والأحياء، فوجد في الطّبيعة والهجاء ملاذه وأنسه تعويضا عن غربته بين النّاس.

مصطلحات

موضوع الحِجاج ووظيفته:

يعرّف [بيرلمان وتيتيكاه] موضوع نظريّة الحِجاج بقولهما: «موضوع الحِجاج هو درس تقنيات الخطاب الّتي من شأنها أن تؤدّيَ بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم». وفي موضع آخر من الكتاب يحدّثنا المؤلّفان عن الغاية من الحجاج فيقولان: «غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تُذعِن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلكَ الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وُفّق على الأقلّ في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة»

يحصل لنا من هذيْن القوليْن شيء لابدّ من التّنبيه عليه وهو أنّ لفظ الحجاج (L'argumentation) يطلق على العلم وموضوعه أي على النّظريّة وعلى المحاجّة أيضًا.

أهمّ نظريّات الحِجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، بحث جماعيّ – مقال عبد اللّه صولة «الحِجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال «مصنّف في الحِجاج»: الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكاه»، ص 299

الفهم والتّحليل

1 - قسّم النّصّ وفق التّمشّي الحجاجيّ الّذي ارتآه ابن الرّوميّ في دعوته إلى التّقليل من الصّحاب.

2 - استخرجْ حُجّتين استدلّ بهما الشّاعر على ما يلحق كثرة الأصحاب من ضرر.

3 - نَوّعَ ابن الرّوميّ من الشّرط والاستدراك: فما وظيفة هذه الأدوات في تثبيت ما ذهب إليه من اصطفاء الأصدقاء؟

4 - هل لِموقفِ ابن الرّوميّ من الأصحاب علاقة بمرارة تجربته الذّاتيّة؟

التّفكير وإبداء الرّأي

أبْدِ رأيك في قول الشّاعر:

عَدوّكَ منْ صَديقِكَ مُسْتَفَادٌ ⟵ فَلا تَسْتَكْثِرَنّ مِنَ الصّحابِ

إنتاج كتابيّ

توسّعْ في قول الشّاعر:

فَدَعْ عنْكَ الكَثيرَ، فَكمْ كَثيرٍ ⟵ يُعافُ؛ وكَمْ قَليلٍ مُسْتَطابِ

الكلماتُ الأضْدادُ

إذَا انْـقَلَـبَ الصّـديقُ، غَدَا عَدُوّا • • • مُبِـيـنًا؛ والأمُورُ إلَى انْقِـلابِ

أبـــانَ - مجرّدُها «بَانَ»، وهي من الكلمات الأضداد الّتي تفيد ظهر، واختفى، وفي هذا السّياق تعني التّستّر.

أمثلة من الكلمات الأضداد:

	الفعـــل	المعنى الأوّل	المعنى الثّاني	الشّواهـد
1	أسرّ الحَديثَ	أظْهَرَه	كَتَمَهُ	
2	أخْفيْتُ الشّيْءَ	كَتمْتُهُ	أظْهرْتُهُ	«إنّ السّاعة آتية أكاد أخفيها» [قرآن] - أي أُظْهِرُها
3	رَجَـــا	ما رَجوْتُ فُلانًا ← مَا أمّلتُهُ.	مَا رَجوْتُهُ: مَا خِفْتُهُ -	«مَالَكمْ لاَ تَرْجونَ للّه وقَارًا» - أيْ لا تَخافُونَ.
4	بَـــاعَ	بِعْتُ الشّيء: إذَا بِعْتَهُ مِنْ غيْرِكَ.	بِعْتُهُ ← إذَا اشْتَريْتُهُ	ويَأتيكَ بالأَخْبارِ منْ لمْ تَبِعْ لَهُ... بتاتًا، ولَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ موْعِدٍ [طرفة] لمْ تَبِعْ: لَمْ تَشْتَرِ لَهُ
5	نَهَـــلَ	النّاهِلُ أي العَطْشانُ	النّاهِلُ أي مَنْ شرِبَ	الطّاعِنُ الطّعْنَةَ يوْمَ الوَغى يَنْهَلُ منْها الأسَلُ النّاهِـــلُ ← أيْ يَرْوى منْها العطشانُ، الأنثى نَاهِلةٌ والجَمْعُ نِهالٌ. ← إبِلٌ نِهالٌ أي عِطاشٌ.

1 - حدّدْ المعاني الأضداد للكلمات التّالية:

	الكلمات	المعنى الأوّل	المعنى الثّاني
1	هَجَـــدَ	.....	.....
2	البَيْـــنُ	.....	.....
3	الطّـــرَبُ	.....	.....
4	وَلّـــى	.....	.....
5	مَسْجـــورٌ	.....	.....

2 - ماذا أفادت «أَبَانَ» في الاستعماليْن؟

قال القاضي في المقامة المعرّية للشّيخ والفتى: «إمّا أنْ تُبِينَا وإمّا فَبِينَا. (الحريريّ)

تُبِينَا .....

فَبِينَا .....

إغنـــاء

الغريـــبُ

يـــا هذا: الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنـــةِ ودلّ عنوانه على الفتنة عُقيْب الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفَيْنة حَدّ الفينة. الغريب من إن حضر كان غائبًا، وإن غاب كان حاضرًا، الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تسْتعْرفه. أما سمعت القائل [المتنبّي] حين قال [البسيط]:

بمَ التّعلّلُ لاَ أهْلٌ ولاَ وطَنٌ ولاَ نَديمٌ ولاَ كأسٌ ولاَ سَكَنُ؟

هـــذا وصف رجل لحقته الغربـــة فتمنّى أهلاً يأنس بهم، ووطنًا يـــأوي إليه، ونديمًا يحلّ عقد سـرّه معه، وكأسًـــا ينتشـــي منها، وســـكنًا يتوادع عنده - فأمّا وصف الغريب الّذي اكتنَفتْه الأحْزان من كلّ جانب، واشـــتملت عليه الأشجان من كلّ حاضر وغائب، وتحكّمت فيه الأيّام مْن كلّ جاءٍ وذاهبٍ، واســـتغرقته الحسَـــرات مـــن كلّ فائتٍ وآيبٍ، وشـــتّته الزّمـــان والمكان بين كلّ ثقـــةٍ ورائبٍ - وفي الجملة - أتتْ عليـــه أحكام المصائب والنّوائـــب وحطّته بأيدي العواقب عن المراتب - فوصـــف يحفى دونَه القلم ويفنى من

ورائه القرطاس ويشلّ عن تحبيره اللّفظُ لأنّه وصف الغريب الّذي لا اسم له فيذكر، ولا رســم له فيشــهر، ولا طَيّ له فينشر ولا عذر له فيعذر، ولا ذنب له فيغفر، ولا عيب عنه فيستر.

أبو حيّان التّوحيدي، الإشارات الإلهيّة، الرّسالة 12

ورقة منهجيّة

خطاطةُ النّصّ الحِجاجيّ (3): الأساليبُ والوظائفالحِجاجيّة

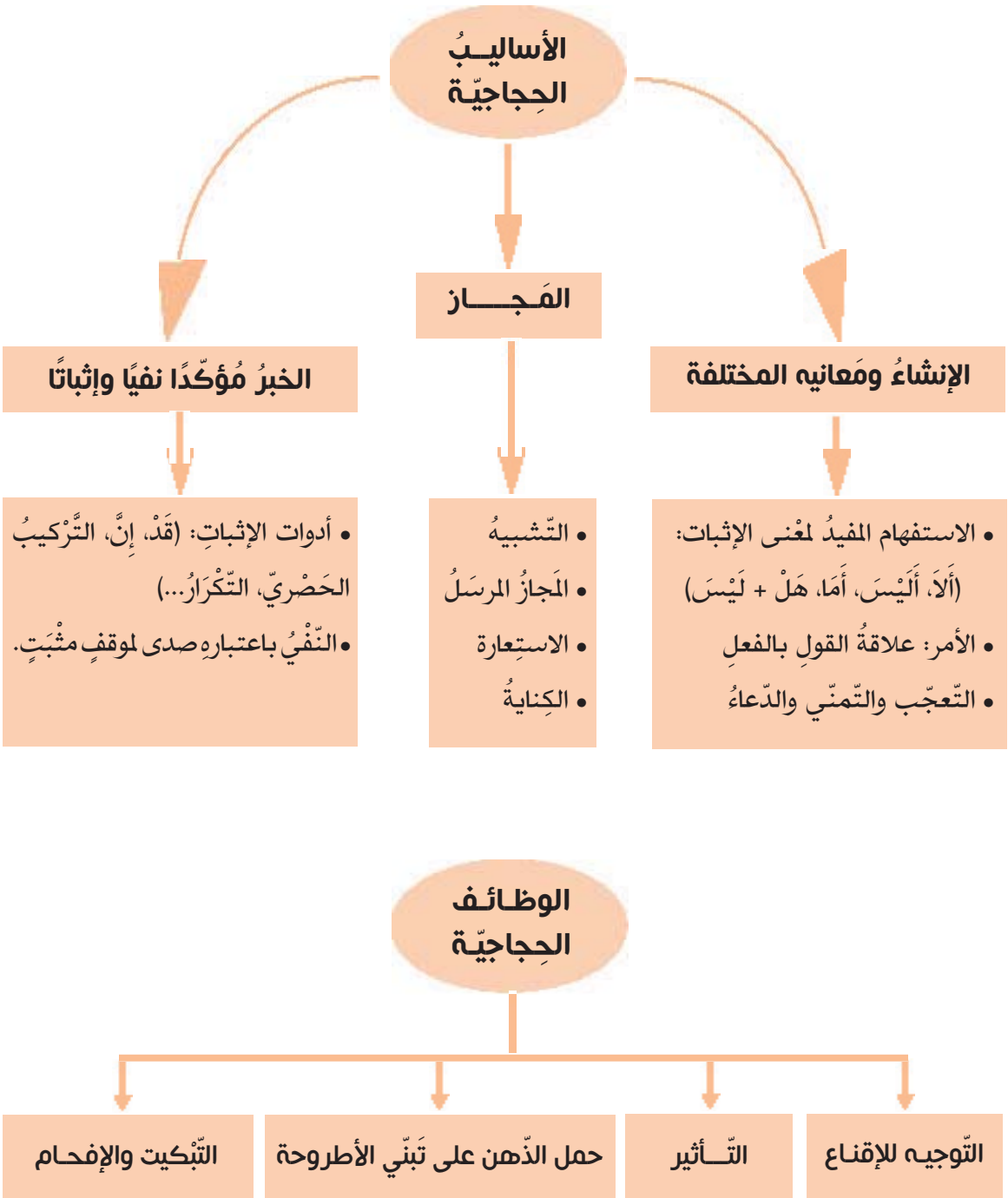

الشّرْطُ

مُنطلقاتٌ

1 - وَلَـوْ كَانَ الكَثيرُ يَطيبُ كَانتْ *** مُصَاحَبَةُ الكَثيرِ مِنَ الصّوابِ

حرف شرط — مضمون (1) التّرْكيبُ بالشّرْطِ — مضمون (2) تركيبُ الجزاءِ

لَـوْ: تفيد امتناع حدث الجزاء لامتناع الشّـرط، وتقترن في الغالب باللاّم إذا ورد جوابها مثبتًا ويتَوجّب حذفها إذا كانت نواة الجزاء منفيّة.

لَوْ: تعني أنّ معنى جزأي الجملة منفيّانِ. الكثير لا يطيب لذلك فإنّ مصاحبة الكثير ليسـت من الصّواب.

2 - إذَا خَافوا الملالةَ والفُتورَ علَى أبْدانِهِمْ، تَرَنّموا بالألْحانِ. [الأبشيهي]

نواة إسناديّة متمّمة — نواة إسناديّة رئيسيّة

- المركّب بالشّرط متمّم يتعلّق بالنّواة الرّئيسيّة. وتربط أداة الشّرط بين تركيبيْن يسمّى الأوّل تركيب الشّرط والثّاني تركيب الجزاء.

تطبيقاتٌ

ما الفرقُ بين المثاليْن التّاليَيْن من حيث العلاقة الشّرطيّة بين النّواتيْن؟

3 - من عَمِلَ لِبطْنِهِ وقَنِعَ وتَرَكَ مَا سِوى ذلك عُدّ منَ البَهائم. [ابن المقفّع]

4 - إذَا كانتْ كلّ هَباءَة مُركّبَةً بِذرّتيْ هيدروجين وذرّة أكسيجين فَهْيَ ماءٌ.

تختلف العلاقة الشّرطيّة في كلّ من المثاليْن السّابقين:

- في المثال الثّالث: العلاقة لزوميّة بسيطة لأنّه ليس كلّ معدود من البهائم هو الّذي يعمل لبطنه ويقنع ويترك ما سوى ذلك.

[مَنْ عَمِلَ وَتَرَكَ...] ⟵ [... عُدّ...]

- في المثـال الثّاني: العلاقة شـرطيّة تلازميّة لأنّ العكس صادق وهـو أنّ كلّ ماء مركّب من ذرّتيْ هيدروجين وذرّة أكسيجين.

[إذَا كَانَتْ كُلّ هَبَاءَة ...] ⟵ [فَهْيَ ماءٌ]

إنّ دلالة الشّرط على الإمكان بـ «إنْ» و «إذَا» والامتناع بـ «لَوْ» تخدم المخاطِب في مقامه الحجاجيّ دعما لفكرة أو دحضا لأخرى.

فالعلاقة الشّرطيّة بين المضمون الأوّل في تركيب الشّرط والمضمون الثّاني في تركيب الجزاء تساعد على الانتقال من المعطى إلى النّتيجة.

لَوْلا الكُتّابُ ⟵ لانْتَفتْ أخْبارُ المَاضِين.

وجود الكُتّاب ← المعطى

[إذَنْ] يطلعنا على أخبار الماضين ← النّتيجة

يُفيـــدالشّرطُ :

الامْتناع بـ لَوْ : «لولا الكُتّابُ - أي الفنّانون - لانتفتْ أخبارُ الماضين». [منجي الشّملي]

الإمكان بِـ إنْ/إذا : «إن أنت أكرمت الكريمَ ملكتَه» [المتنبّي]

«إذا لقيَ من تُريحه المجاملة لا يجد بأسًا في مجاملته». [يحي حقي]

استنتاجات

للشّرط

تركيبان: (شرط / جزاء) قد يَكونُ رابطهما لفظيّا بالـفَاءِ / اللاّم أو مباشرًا.

أدوات اسميّة: (مَنْ، مَا، مَهْمَا، مَتَى، أيُّ، أنّى...)

وحرفيّة: (إنْ، لَوْ...)

أدوات جازمة: (إنْ، مَنْ، مَا، مَهْمَا...)

أدوات غير جازمة: (لَوْ، لَوْلاَ، لَوْمَا...)

إنَّ الفروق بين [إن] و [لو] و [لَمّا] و [إذَا] هي على التّرتيب فروق بين الإمكان المطلق والإمكان الامتناعيّ والوجوب المتزامن والإمكان المتزامن.

ومثلما كانت «إنْ» أوسع مدًى من أختها «لَوْ»، فإنّ «إذَا» أوسعُ مدًى من أختها «لَمّا». ولكنّ التّقابل بين «لَوْ» و«لَمّا» قويّ لأنّه تقابلٌ بين الامتناع والوجوب، أمّا التّقابل بين «إنْ» و«إذا» أضعف لأنّ «إذَا» تجوز حيث تجوز «إنْ»...

«إنْ» تصدر عن عدم اليقين في إمكان وقوع الحدثيْن في الجملة الشّرطيّة.

«إذَا» تُعبّر عن يَقين في إمكان الوقوع، وتعبّر «لَمّا» عن يقين في وجوب الوقوع؛ أمّا «لَوْ» فتعبّر عن يقين في إمكان عدم الوقوع.

شكري المبخوت، الاستدلال البلاغيّ، دار المعرفة للنّشر وكلّيّة الآداب، ط. 1، تونس 2006، ص ص 195-196

تمرين **عوّض أداة الشّرط «لَوْ» في المثال الأوّل بـ «إنْ» و «إذَا» ولاحظ ما الّذي تغيّر.**